رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

أُثْبِتَت الإدانة (رومية ١: ١٨-٢٥)

تأليف: دفيد روبر

ركزنا في الدرس السابق على فكرة بولس الرئيسية في هذه الرسالة:

> لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا» (رو ١: ١٦ و١٧).

بعد مثل هذا التوكيد من قبل بولس، قد نتوقع انه سيخبرنا عن **محبة** الله. ولكنه بدلاً من ذلك حول الانتباه نحو **غضب** الله. تقول الآية ١٨: «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِم ...». كان بولس قد شدد في الآية ١٦ على الطبيعة الجامعة لمحبة الله التدبيرية («للجميع»)؛ والآن يريد أن يوضح الحاجة الجامعة لذلك التدبير. علاوة على ذلك، كان بولس قد أعلن أن الخلاص متاح لكل من اليهود والأمم. والآن يوضح أن «الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٣: ٩). كان بولس يتحدث عن الأمم بصفة أساسية في ١: ١٨-٣٢، وعن اليهود في ٢: ١ إلى ٣: ٨، وعن جميع البشر في ٣: ٩-٢٠.

يغطي هذا الدرس رومية ١: ١٨-٢٥. إلقي نظرة خاطفة بحثاً عن حرف عطف «لأن». قال جون آر دبليو سكوت أن كل عبارة يقولها بولس يربطها بما قبلها حرف العطف في اللغة اليونانية «قار γὰρ» أو «ديوتي διότι» ومعناه «لأن»[١]. بنى بولس حجته على الأمم نقطة بنقطة.

يقال انه ربما تم إدخال هذه الكلمة قبل ١: ١٨: «اسمعوا! اسمعوا! المحكمة في جلستها الآن!»[٢]. قدم بولس حجته كما لو كان في محكمة. كل مرة استخدم فيها «قار» و«ديوتي» كان يجيب بذلك على اعتراض قد يُقَدَّم لاحقاً[٣]. دعونا نتخيل عدة مشاهد تحدث بين بولس ومعارضيه لكي نرى كيفية تطور فكره.

تهمة: مذنب بالخطيئة (١: ١٨)

مبادلة تصويرية

الخصم: قلت أن ترتيب الله لاعتبار الناس أبراراً معلنة في الإنجيل. بما أن الله هو إله المحبة ولا شك انه لا يدين أحد، فهل هناك حاجة لمثل هذا الترتيب؟»

بولس: «نعم هناك الحاجة، لأن الله هو أيضاً إله الغضب. الجميع خطاة وغضب الله يتطلب معاقبة الخطيئة!»

نص تنويري

يبدأ النص على النحو التالي: «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِم ...» (الآية ١٨). كما أن بر الله قد أُعْلِنَ (الآية ١٧)، هكذا أُعْلِنَ أيضاً غضب الله. لقد أُعْلِنَ بر الله في الإنجيل (الآيتان ١٦ و١٧). غضب الله معلن في الكتاب المقدس وفي التاريخ وفي الحياة في يومنا هذا (كما سنرى). ليس من الغريب أن نعتبر هذا معلن أيضاً في الإنجيل - لأن فكرة عدل الله لا يمكن فصلها عن قصة الخلاص. التوكيد الذي وضعه بولس هو على حقيقة أن هذا الاعلان جاء «من السماء». التعليم بان الله سيعاقب الخطيئة ليس

[١] جون آر دبليو سكوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today Series» صفحة ٦٩.

[٢] وارن دبليو ويرسبي في تفسيره بعنوان «The Bible Exposition Commentary»، الكتاب الأول. صفحة ٥١٨.

[٣] كان بولس يتوقع عادة احتمال معارضته، كما سنرى ذلك.

من تصورات بولس، بل جاء من الله نفسه.

غضب الله معلن «عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِم». الكلمة اليونانية («أسبيا ἀσέβεια») المترجمة هنا إلى «فجور» تحمل فكرة «احتقار لشخص الله». كلمة «إثم» («أديكيا ἀδικία») «هي صيغة شاملة للخطأ أو عمل الشر بين الناس». تشمل هاتان الصيغتان كل خطيئة، سواء كان ضد الله أو ضد الإنسان. ليس الله سلبي عندما يتعلق الامر بالخطيئة، بل إن كل خطيئة تثير غضب الله.

لقد أُهمل موضوع غضب الله. وأحد الأسباب في ذلك هو انه يجد البعض صعوبة في التسوية بين فكرتي إله المحبة وإله الغضب. إذ أخطأوا فهم محبة الله يقولون: «طبعاً لا يغضب منا إله المحبة أبداً! انه يعلم اننا ضعفاء، فلا شك انه سيتغاضى عن قصوراتنا!»

هناك مشكلة ذات صلة بهذا وهي أن البعض يساوون كلمة «غضب» هنا بالغضب البشري. هيجان الغضب من جانبنا هو بصفة عامة بسبب ضيق الأفق والأنانية، وعادة ما يكون انتقامي[٤]. يحذرنا الكتاب المقدس عن أخطار الغضب وإرشادات عن الحاجة إلى تجنب هذه العاطفة المدمرة بصفة عامة (راجع متى ٥: ٢٢؛ غلاطية ٥: ١٩-٢١؛ أفسس ٤: ٣١؛ كولوسي ٣: ٨؛ يعقوب ١: ١٩ و٢٠). ومع ذلك ما زال الكتاب المقدس يخبرنا عن «غضب الله». ينبغي لنا أن نفهم ما يقصده الكُتَّاب الملهمون بهذه العبارة.

عندما تشير الكلمة («أورج ὀργή») المترجمة إلى «غضب» إلى الله، يكون المقصود بها هو «رد الفعل الإلهي تجاه الشر»؛ وهذا «شعور شرعي من جانب القاضي». أشار داف ميلر إلى هذا بانه «غضب الله الشرعي». وشرح ليون موريس هذه العبارة بانها «المقاومة الدائمة والفعالة لطبيعة الله المقدسة تجاه كل ما هو شرير».

طبيعة الله المقدسة تتطلب منه معاقبة الخطيئة. أسمى دي ستوارت بريسكو غضب الله بانه «إستجابة مقدسة لإثم، ورد فعل عادل لما هو غير عادل، ورفض طاهر لما هو غير طاهر»[٥]. كتب سكوت قائلاً: «لا شيء يثير {غضب الله} غير الشر، هذا ما يفعل الشر دائماً».

لقد حاول بعض المفسرين بجهد شديد ليجعلوا غضب الله المقدس ليس كالغضب الأناني للبشر بحيث جعلوا كلمة «غضب» عند الإشارة إلى الله غير متأثرة بالشعور الشخصي. ولكن عليك أن تعلم أن شرائع الله هي التعبير بمن هو. عندما ينتهك الشخص إحدى شرائع الله فهو يخطيء إلى الله نفسه. الخطيئة شيء شخصي، وإستجابة الله هي إستجابة شخصية. ليست متهورة، بل هي شخصية.

عندما نسمع عبارة «غضب الله» ربما نفكر في «الغضب الآتي» (١ تسالونيكي ١: ١٠) عند الدينونة. أُسْتُخْدِمَت كلمة غضب بهذا المفهوم في الرسالة إلى أهل رومية (كما في رومية ٢: ٥)، ولكنها أُسْتُخْدِمَت بطرق أخرى أيضاً. على سبيل المثال، أُسْتُخْدِمَت للإشارة إلى عقاب الذين ينتهكون القوانين المدنية (رومية ١٣: ٤). بما يختص في إستخدامها في ١: ١٨ لاحظ أنه أُسْتُخْدِم فعل المضارع: «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِم». الغضب المذكور في آية ١٨ من الأصحاح الأول لم يكن في الماضي ولا في المستقبل بل في الوقت الحاضر.

غضب الله المعلن اليوم يشمل ضمير ملام (راجع ٢: ١٥) والعديد من العواقب ناتجة عن الإنفصال من الله (راجع إشعياء ٥٩: ١ و٢؛ رومية ٩: ٣). ولكن في السياق المباشر لما ورد في رومية ١: ١٨ كان بولس يقصد العقاب الإلهي المتمثل في النبذ ومواجهة عواقب الخطيئة. صرح بولس ثلاث مرات في الأصحاح الأول بعبارة «أسلمهم الله» (الآيات ٢٤، ٢٦، ٢٨). سيتركز درسنا القادم على هذه العبارة الرهيبة.

إستنتاج لا جدل فيه

نريد التركيز للحظة على التهمة التي قدمها بولس. أتصوره يقول بالتأكيد «غضب الله المقدس معلن لأن

---

[٤] هناك «غضب صالح» على الخطيئة، ولكن غالبا ما يكون غضبنا بسبب الأنانية.

[٥] دي ستوارت بريسكو في تفسيره بعنوان «Mastering the New Testament: Romans»، من سلسلة «The Communicator's Commentary Series»، صفحة ٤٠.

الناس يخطؤون إلى الله وإلى بعضهم البعض، إن اعترفوا بهذا أم لا. فانهم يستحقون العقاب!»

إثبات: معلومة مكتومة (١: ١٨ و١٩)

حديث تصَوُّري

الخصم: «لماذا تصر على أن الله غاضب علينا؟ على كل حال، نحن الأمم ليس لدينا ناموس مكتوب كما كان لليهود. هل يغضب الله علينا برغم اننا لا نعرف ما هو الأفضل؟»

بولس: «أنتم الأمم عرفتم ما هو الأفضل. بالرغم من انه لم يكن لديكم ناموس مكتوب، ولكن لديكم رؤيا. أنتم تكتمون المعرفة التي أعطاكم الله إياها. أرجو ألا تشكوا في هذا أبداً: أنتم مسؤولون عن خطاياكم!»

نص تنويري

بعد ما قال بولس أن «... غَضَبَ الله مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِم» (الآية ١٨)، أضاف: «... الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ الله ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ» (الآيَتَانِ ١٨ و١٩). كلمة «الحق» الواردة في الآية ١٨ لا تشير إلى «جميع الحق» (راجع يوحنا ١٦: ١٣)، بل تشير إلى الحق الذي أعلنه الله للأمم. سمي هذا الحق في الآية ٢٥ بـ«حق الله». تقول الآية ٢١ انهم «عَرَفُوا اللهَ» بينما تشير الآية ٣٢ إلى أنهم كانوا يعرفون أن الذين يعملون أعمال غير صالحة يستحقون عليها العقاب.

ذكر الأصحاحان الأول والثاني طريقتين محددتين أعلن بها الله نفسه ومشيئته للأمم: الخليقة (١: ٢٠) والضمير (٢: ١٥). قد نضيف ظهورات الله الخاصة والشخصية لعالم الأمم. منذ ما أفرز الرب الشعب اليهودي وأعطاهم ناموس مكتوب (راجع ٣: ١ و٢)، قد نظن أن الله لم يكن يهتم بالأمم ولم يعطهم أي تنوير روحي. تقدم الأسفار المقدسة الكثير من الدلائل في أن الأمر لم يكن هذا. قدم جيمس بارتون كوفمان عدة صفحات من الإثبات الكتابي بان الله لم يكن يهتم باليهود فحسب، بل بجميع البشر أيضاً[٦]. تأمل في الأمثلة القليلة التالية:

- كان ملكي صادق كاهناً لله العلي (تكوين ١٤: ١٨)، ولم يكن من نسل إبراهيم.
- كان روح الله على بلعام (عدد ٢٤: ٢) وهو لم يكن إسرائيلياً.
- أرسل الله يونان النبي إلى نينوى (يونان ١: ٢) وكانت تلك مدينة أممية.
- شفى أليشع نُعْمَان (٢ ملوك ٥)، وهو عسكري أممي.
- عرف المجوس بطريقة ما عن مسيا اليهود (متى ٢).

لا يمكننا التأكد من الكيفية والزمان والمكان التي أظهر بها الله نفسه للأمم، أو ما الذي أعلنه لهم بالتحديد. يمكننا أن نعرف شيئين. أولاً: لم يكن اعلان الله مبهماً ولا مشكوكاً فيه. قال بولس: «إِذْ مَعْرِفَةُ الله ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ» (رومية ١: ١٩).

ثانياً: بدلاً من تثمين الأمم لاعلان الله لهم، حجزوه. الكلمة («كاتخو κατέχω») المترجمة إلى «يحتجزون» في الآية ١٨ هي كلمة مركبة تجمع كلمتي «كاتا κατά» («إلى أسفل») مع كلمة «إخو ἔχω» (أي «يمسك»). يمكن استخدام كلمة «كاتخو κατέχω» بمفهوم إيجابي (راجع كلمة «تَحْفَظُونَ» الواردة في ١ كورنثوس ١١: ٢)، ولكن يمكن مقارنة استخدامها في رومية ١: ١٨ مع مصارع يمسك بخصمه إلى الأسفل حتى لا يفلت.

ربما لم ينل الأمم تنويراً روحياً بقدر ما كان لليهود، ولكن أُعْطِيَ لهم شيء من النور، ولكن للأسف انهم أطفأوا في غالب الأحيان النور الذي أظهره الله لهم. يمكن مقارنتهم بإنسان يلتمس طريقه في الظلام لا يملك إلا مصباحاً {صغيراً} ليضيء مسلكه، ومن ثم التفت إلى اللهب أطفأ بنفخة منه. «وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ»

---

[٦] جيمس بارتون كوفمان في تفسيره بعنوان: «Commentary on Romans»، صفحات ٣٢-٣٨.

(١: ٢١) – ولكنهم أصبحوا مرة أخرى المسؤولون عن الظلام {الذي حدث لهم}. ما لهذه المأساة!

لماذا تصرفت الأمم بمثل هذه الحماقة؟ قال بولس انهم كانوا يحجزون «الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (آية ١٨). تشير كلمة «إثم» هنا إلى الخطيئة بصفة عامة (راجع ١ يوحنا ٥: ١٧). عندما تكون الخطيئة في حياتك، قد تضايقك الحقيقة وتجعلك غير مستريح وغير سعيد. عندما يكون الحال هكذا، قد تذهب في أحد الاتجاهين: يمكنك أن تتخلص من خطيئتك – أو تتخلص من الحق. اختارت الأكثرية في عالم الأوثان التخلص من الحق. لاحظ مرة أخرى أن بولس استخدم الفعل المضارع: «الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ». لم يكن ذلك مجرد حدث في الماضي، بل كانوا مستمرون في فعل ذلك.

إستنتاج لا جدل فيه

هكذا وضع بولس دعواه. أتصوره مرة أخرى يواجه معارضيه. أتصوره يقول: «كانت للأمم فرصة للتعرف على الله ومشيئته. ولكنهم حجزوا الحق الذي أعطاهم الله إياه. انهم مذنبون بهذا!»

إثبات: جهل متعمد (١: ٢٠)

حديث صوري

الخصم: «ربما أظهر الله نفسه للأمم هنا وهناك في مناسبات خاصة، ولكن ما دمنا لا نعرف اعلان أو اعلانات الله للأمم، فليس من العدل إدانة جميع الأمم في كل مكان. لا شك أن أغلبية الأمم يستثنون من ذلك!».

بولس: «كلا، الجميع بلا عذر. بغض النظر عن الاعلانات الأخرى لهم، كلهم يعرفون عن اعلان الله لنفسه في الطبيعة. انهم محاطون بكل ما صنعه الله. انهم يرون الشمس والقمر والنجوم. لهذا إقول مرة أخرى انهم بلا عذر!»

نص تنويري

قال بولس مرتين في الآية ١٩ أن بعض الحقائق عن الله «ظَاهِرَةٌ» للجميع. وفي الآية ٢٠ قدم سبب واحد يوضح صحة هذا الكلام: «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ ...» (الآية ٢٠).

يقال أن الله أعلن عن نفسه بطريقتين: بطريقة «الطبيعة» في عالمه؛ وبطريقة فوق الطبيعية في كلمته. تحدث داود عن كلا الطريقتين في المزمور ١٩. كتب داود في الجزء الأول من هذا المزمور عن اعلان الله في الطبيعة قائلاً: «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (الآية ١). يتركز الجزء الأخير من هذا المزمور على الاعلان فوق الطبيعي: «نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا» (الآية ٧).

عندما كان بولس في لسترة، تحدث عن اعلان الله في الطبيعة. قدم لمستمعيه هذا الوصف عن الله:

> «... نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، الَّذِي فِي الأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ ... لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا: يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا» (أعمال ١٤: ١٥-١٧).

تحدث بولس في النص الذي نحن بصدده عن «خليقة العالم» و«... المصنوعات». اليوم، يصر «المتعلمون» على انه ليست هناك خليقة خاصة، بل كل ما في العالم هو نتيجة التطور. أما بولس الذي لم يكن متعلماً فحسب، بل موحى إليه أيضاً، كان يؤمن بالخليقة؛ وعلم بان كل ما في الوجد صُنع.

أصر بولس على أنه عندما ننظر إلى ما صنعه الله نتعلم شيء عن الله – لا نتعلم كل شيء بل بعض الأشياء. كان باستطاعة بولس أن يقول انه بالنظر إلى العالم يمكننا أن نستخلص ان الله موجود. هذا مبدأ بسيط جداً بحث يمكن للطفل فهمه: لكل مصنوع صانع. نستخدم مثال ساعة اليد: وجود الساعة توضح انه لا بد أن يكون هناك ساعاتي (أي صانع الساعات). ويستخدم كاتب الرسالة إلى العبرانيين مثل آخر: «لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ» (عبرانيين ٣: ٤).

لم يكن هدف بولس أن يثبت وجود الله. هناك موافقة جامعة تقريباً عن وجود قوة أعظم. ولكن كان

بولس الرسول يضع التوكيد على من هو الله – ما يسميه بولس بـ«أموره غير المنظور».

يوجد تناقض ظاهري في عبارة: «أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ ...». الكلمة المترجمة إلى «تُرى» (من «καθοράω» كاثوراو) تجمع أداة الجر («κατά» كاتا) مع كلمة معناها «يَرى» («ὁράω» هوراو) كلمة «καθοράω» كاثوراو في العهد الجديد معناها «أدرك» – وليس رؤية بالعينين فحسب، بل «إدراك بالذهن أيضاً، أي الفهم».

ما هي أمور الله غير المنظورة التي يمكن إدراكها في خليقته؟ ذكر بولس إثنين منها. الأول هو «قدرته {δύναμις دوناميس} السرمدية». لله قدرة هائلة بحيث عندما قال «لِيَكُنْ نُورٌ»، «... كَانَ نُورٌ» (تكوين ١: ٣). لا أستطيع أن أتصور القوة التي صارت من تلك الجملة الواحدة من الرب!

الأمر الثاني من أمور الله التي «تُرى» في مصنوعاته هو «لاهوته». كلمة «لاهوت» هنا مترجمة من «ثيوتس θειότης» وهي مأخوذة من كلمة «الله» (ثيوس θεός). تشير كلمة «ثيوس» إلى الصفات الإلهية.

قال بولس انه يمكن إدراك طبيعة لاهوت الله في مصنوعاته. عندما ننظر إلى العالم من حولنا ندرك ميزات الصانع. العالم الذي يعمل «بقوانين» طبيعة ثابتة يدل على أن صانعه محافظ على نظام. إذ كان قد وضع «قوانين» في عالم الطبيعة (مثل «قانون الجاذبية الأرضية»)، فمن المعقول الظن بانه وضع أيضاً قوانين في عالم الاخلاقيات والروحانيات. بما انه تكون هناك ردود عندما ننتهك «قوانين» الطبيعة، هذا يدل على أن هناك عواقب وخيمة إذا تغاضينا عن فرائضه الاخلاقية والروحية. يمكن توسيع هذه الفكرة. كثرة هبات الله تشهد لسخاءه. الجمال الذي في هذا العالم يعبر بشيء عن جمال خُلْق الله (راجع المزمور ٢٧: ٤) – وهلم جرا.

يسيء البعض استخدام ما ورد في رومية ١: ٢٠ والنصوص ذات الصلة بها في محاولة لوضع نظرية «علم اللاهوت الطبيعي». انهم يصرون على انه كل ما نحتاج إلى معرفته عن الله ومشيئته يمكننا أن نتعلم ذلك من الطبيعة. مثل هذه الخلاصة هي إساءة لتعليم بولس. قال بولس اننا قد نعرف بعض الأشياء عن الخالق بالنظر إلى خليقته، وليس اننا نعرف كل شيء. حكى شاب من إفريقيا قصة إهتداءه قائلاً:

> عندما كنت صبياً دائم ألجري في غابات نيجيريا، عرفت هناك انه يوجد إله وخالق. بقيت أقف بين الأشجار وانظر نحو السماء ليلاً وأصبح عندي أن هناك صانع عظيم لهذا العالم. ولكني لم أعرف من هو. وفي أحد الأيام وصلت إلى قريتنا إرسالية لتعلم الأطفال القراءة. فعلمتنا قراءة الكتاب المقدس. عندئذ إكتشفْتُ من هو الإله الذي أظهر نفسه لي بالأشجار والنجوم[٧].

هناك حقائق إلهية كثيرة لا يمكن إستنتاجها من الطبيعة وحدها. والحقيقة الأهم من هذه الحقائق هي الحقيقة الرائعة بانه «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ ...» (يوحنا ٣: ١٦). قال شخص ما: «نرى في الطبيعة أثر أصابع يدي الله ... ولكن ما نحتاج إلى رؤيته هو أثر المسامير في يد المسيح»[٨]. قد يتعلم الإنسان ما يكفي من الطبيعة لتبكته على الخطيئة، ولكن لا يكفي لخلاصه من الخطيئة.

عندما استخدم بولس ما أظهره الله في الطبيعة في حواره في أثينا، أشار إلى أن الله «خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ» من أجل تشجيع الناس «لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ» (أعمال ١٧: ٢٤ و٢٧). ما يمكن أن يعرفه الناس عن الله من الطبيعة يجب أن يحثهم إلى معرفة المزيد عنه. يجب أن تقودهم مثل هذه الرغبة في آخر المطاف إلى وحي الله فوق الطبيعي، أي الكتاب المقدس. قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن الله «يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ» (عبرانيين ١١: ٦). وقال يسوع: «اطلبوا تجدوا» (متى ٧: ٧).

سمح الأمم لمعظم الحقائق الموروثة من الآباء تضمحل من الذاكرة. لقد حرفوا البقية الباقية من الحق وشوهوها. ومع ذلك ظلت الأنهار تجري ... والأزهار تتفتح والشمس تشرق وقوس القزح ينجلي في السماء

---

[٧] تم تبني هذه القصة من بيل برستر في كتابه بعنوان «Illustrating Paul's Letters to the Romans»، صفحة ٢٠.

[٨] ورد هذا الإقتباس في كتاب جيم تاونسند بعنوان «Romans: Let Justice Roll»، صفحة ١٤.

بعد عاصفة ممطرة ... والنجوم تتلألأ ليلاً. لم يترك الله نفسه بلا شاهد. حصل الأمم على شيء من النور الروحي – ولكنهم تغاضوا عن ذلك النور. لم يستطيعوا أن يعيشوا بحسب الحق الذي كان لديهم.

لهذا استخلص بولس قائلا: «... حتى إنهم بلا عذر» (رومية ١: ٢٠). في الأصحاح ٢ وجه بولس التهمة نفسها لليهود (٢: ١). هذا لا يعني أن الناس لا يقدمون «أعذار» بسبب عدم العمل بمشيئة الله. يقال انك قد تجد إنساناً بدون محفظة جيب، ولكنك لن تجده بلا عذر. عندما قال بولس: «إنهم بلا عذر»، قصد انه ليس لأحد عذر مقبول لعدم معرفته لله وطاعته له.

إستنتاج لا جدل فيه

أرى في تصوري بولس مشيراً باصبعه إلى الأمم قائلا: «لم يتغافل عنكم الله. بل كان يهتم بكم وأعطاكم هذا العالم الرائع لكي تعرفوه. ولكنكم تجاهلتم اعلانه عمداً. إذن أصبحتم بلا عذر». أتصوره يكرر العبارة التالية: «بلا عذر، بلا عذر، بلا عذر!»

إثبات: وقاحة متكبرة (١: ٢١ و٢٢)

حوار تصوري

الخصم: «اعتقد انك قاسي جداً! طبعاً لم يكن ممكناً دائماً للبشر أن يعرفوا الله».

بولس: «لم تكمن المشكلة في أن الناس لم يستطيعوا أن يعرفوا الله، بل في كونهم لم يريدوا أن يعرفوه. لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم {رومية ١: ٢٨}!»

نص تنويري

يستمر النص الذي نحن بصدده: «لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ ...» (الآية ٢١). عليَّ أن أُعلق على عبارة «عَرَفُوا اللهَ»، طالما شدد بولس في مكان آخر على أن الأمم كانوا يعرفون الله (غلاطية ٤: ٨؛ راجع ١ كورنثوس ١: ٢١؛ ١ تسالونيكي ٤: ٥). كان بولس يشدد هنا على أن الأمم عرفوا الله في الماضي. ولكن بما انهم احتجزوا المعرفة التي اعطاهم الله إياها (رومية ١: ١٨)، لا يعرفون الله الآن.

كيف وصلوا إلى ذلك الوضع؟ بدأ بولس وصفة مفصلة للكيفية التي سقطوا بها من الله. في المقام الأول، اخفق الأمم في تمجيد الله (آية ٢١). كان على الناس أن يدركوا أن هذا العالم بالغروب المجيد لشمسه صنعه الإله المجيد. هذا العالم بأشجاره وجباله العظيمة لم يصنعه الإله العظيم. هذا العالم المليء بالعجائب المدهشة لم يصنعه إلا إله العجائب. ومع ذلك قال بولس أن الأمم لم يقبوا الاعتراف بمجد الله الفريد.

ثانياً: انهم لم «يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ» (الآية ١٢). لقد قبلوا الحياة التي تسري في عروقهم ويتنفسوا الهواء الذي وفره لهم (أعمال ١٧: ٢٥). أنعموا بأشعة شمسه واستفادوا من مطره (متى ٥: ٤٥). أكلوا الطعام الذي جعله أمراً ممكناً واستمتعوا بفصول السنة المثمرة (أعمال ١٤: ١٧). استمتعوا بكل هذه العطايا وعطايات أخرى منه. ولكنهم لم يقضوا بعض الوقت لينظروا نحو السماء قائلين: «نشكرك يا إلهنا!».

ما زلنا نعيش في عالم لا يمجد الله ولا يشكره من أجل بركاته الرائعة. لا يتهم ما ورد في رومية ١: ٢٠ العالم بصفة عامة، بل يتهمنا نحن أيضاً. نخفق عادة في معرفة بركاتنا ولا نعبر بشكرنا لله «الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ» (١ تيموثاوس ٦: ١٧؛ راجع يعقوب ١: ١٧). أرجو ألا ننسى أن عدم الشكر هو إحدى الخطوات التي تؤدي إلى الابتعاد عن الله الحي.

تغاضى عالم الأمم عن الله. عندما يؤخذ الله من المعادلة، لا يبقى في هذا العالم شيء ذات قيمة؛ ولا يكون له معنى. تذهب أعظم الأسئلة في كل العصور («من أين جئنا؟»؛ «ما هو سبب وجودنا هنا؟»؛ «أين نذهب؟») من غير إجابة. «عندما نترك الله نفقد المعيار أو المرجع الذي يجب أن نعمل به».

عندما تغاضى الأمم عن الله «... حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ» (رومية ١:٢١). من الصعب تفسير الازدراء الوارد في النص اليوناني. الكلمة المترجمة إلى «حمقوا» في هذه الآية («ماتايوس ματαιόω») معناها «نتيجة غير مثمرة». قال بولس في الواقع أن أفكارهم كانت بلا منطق ولا معنى.

الكلمة المترجمة هنا إلى «غبي» («أسونتوس ἀσύνετος») معناها «بلا فهم». عندما رفض الأمم الحق الذي أعطاهم الله إياه، أصبحت قلوبهم غبية وبلا احساس وحمقة. امتلأت قلوبهم بالظلمة. وبأفكارهم الغبية أطفأوا النور الذي كان الله قد أعطاهم إياه.

لاحظ أن قلوبهم هي التي أظلمت. يدعي البعض أن رفضهم لله هو نتيجة للتفكير المنطقي، ولكن الكفر يبدأ من القلب وليس من العقل. ينشأ في العواطف وليس في التفكير المنطقي. لا يريد الناس أن يؤمنوا بالله، وبهذا يخلقون «أسباب» لعدم قبوله.

بلغ تحليل بولس القاسي ذروته في الآية ٢٢، إذ قال: «وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ». كانت روما وبعض المدن الكبرى الأخرى مليئة بالخطباء والأدباء والفلاسفة وأرباب السياسة والكُتَّاب ليس الذين يزعمون أنهم حكماء فحسب، بل الذين كانت «حكمتهم» مشهورة في العالم. وصفهم بولس بكلمة واحدة هي: «جُهَلاَءَ».

كلمة «جهلاء» هنا لا علاقة لها بالتعليم ولا بالتعقل. بل تشير إلى المحاوله لتفسير هذا العالم والأشياء التي في العالم بمعزل عما أعلنه الله عن نفسه ومشيئته. الكلمة المترجمة إلى «جهلاء» هنا (وهي صيغة الجمع من كلمة «موروس μωρός») قد تعني «مغَفَّل/أبله». يعتبر بولس انه عندما يعبر الشخص المتعلم عن رأيه متجاهلاً إعلان الله، فانه «مغَفَّل مثقف». قال كوفمن: عندما لا يقبل الشخص الله، فبدلاً من يكون «إنساناً حكيما»، يصبح «إنسان جاهل».

«وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ». لم تصف كلمات بولس هذه عالمه فحسب، بل تصف عالمنا أيضاً. تكثر علينا «حكمة» الفلاسفة والعلماء والتربويون الذين لا يشملون الله في تصوراتهم ونظرياتهم. علينا أن نحتمل «جهل» تفكير الكفر وحديث الوثني الساخر وهراء السحر وسخرية وسائل الاعلام[٩]. العالم يغرق في ما يسميه قلين باس بـ«بالتوافه الطنانة»[١٠].

إستنتاج لا جدل فيه

ماذا تظن كانت خلاصة بولس للجزء الذي ورد ذكره الآن؟ أتصوره يقول بعيون لامعة: «أن الإنسان لا يملك زمام طريقه، وليس في وسع الإنسان أن يوجِّه خُطى نفسه {إرميا ١٠: ٢٣} تكون حكمة الإنسان حماقة من غير الله – وبدون فهم ليس هناك شيء غير مستنقع من الجهل!»

إثبات: انحطات الوثنية (١: ٢٣ و٢٥)

حديث تصوري

الخصم: «غبي؟ وبلا فهم؟ ومستنقع من الجهل؟ لا شك انك تماديت في كلامك!».

بولس: «أتريد مثال لمدى الحماقة التي أصبح عليها الإنسان؟ تأمل في ما يلي: يصنع الناس تماثيل من الخشب والحجر والخزف والمعدن – ومن ثم يعبدون ما صنعوا!».

نص تنويري

كانت عبارة «وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ» (الآية ٢٢) مجرد كلمة إفتتاحية. استمر بولس في كلامه دون تقديم الدليل على مدى الجهل الذي أصبحوا عليه: «أَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ» (آية ٢٣).

أوجد الله في الإنسان الحاجة إلى العبادة. أينما يذهب الإنسان في هذا العالم، يجد الحاجة الملحة إلى عبادة كائن أسمى. عندما رفضت البشرية كلها الله، ظلت الرغبة في العبادة متقدة في قلب الناس. ولإشباع هذه الرغبة، ابتكروا ألهة كاذبة واخترعوا أصنام لتمثلهم، ومن ثم عبدوا تلك الأصنام.

كان اليهود أنفسهم قد واجهوا الوثنية منذ بداية عهدهم مع الله (خروج ٣٢) خلال فترة المملكة المنقسمة (١ ملوك ١٢). استخدم كاتب مزمور لهجة مشابهة لما ورد في رومية ١: ٢٣ وكتب قائلاً: «وَأَبْدَلُوا مَجْدَهُمْ بِمِثَالِ ثَوْرٍ آكِلِ عُشْبٍ» (المزمور ١٠٦: ٢٠).

توجد إحدى الهجمات الشرسة على الوثنية في

---

[٩] عند استخدامك لهذا الدرس قد تبدل هذه الأمثلة بالظروف التي تحيط بك.

[١٠] قلين باس في موعظة ألقاها في كنيسة المسيح بمدينة جادسونيا بولاية أركنساس الأمريكية، في ٥ يناير سنة ٢٠٠٣.

الكتاب المقدس في الأصحاح ١٠ من سفر إرميا. قال إرميا النبي أن الوثنيين «بَلُدُوا وَحَمِقُوا مَعًا». و«بَلُدَ كُلُّ {منهم} مِنْ مَعْرِفَتِهِ» (إرميا ١٠: ٨ و١٤). تحدث عن أصنام مصنوعة من الخشب، «شَجَرَةٌ يَقْطَعُونَهَا مِنَ الْوَعْرِ. صَنْعَةُ يَدَيْ نَجَّارٍ بِالْقَدُومِ» (الآية ٣). وقال: «بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ {يُزَيِّنون تلك الأصنام}، وَبِالْمَسَامِيرِ وَالْمَطَارِقِ يُشَدِّدُونَهَا فَلاَ تَتَحَرَّكُ» (الآية ٤). وقارن هذه الأصنام مع «اللَّعِينِ فِي مَقْثَأَةٍ»[١١] لأنها «تَتَكَلَّمُ!» (آية ٥). وكان لا بد من حمل تلك الأصنام «لأَنَّهَا لاَ تَمْشِي!» (آية ٥). وكتب أيضاً أنه لقد «خَزِيَ كُلُّ صَائِغٍ مِنَ التِّمْثَالِ»، لأَنَّ مَسْبُوكَهُ كَذِبٌ وَلاَ رُوحَ فِيهِ (الآية ١٤).

لقد «بدل» («ألاسو ἀλλάσσω») البشر مَجْدَ الله الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ (رومية ١: ٢٣). من يجهل قيمة الشيء الذي له قد يبدله بشيء أقل قيمة. على سبيل المثال، قد يبدل الطفل جوهراً ثميناً بحلية لامعة {لا قيمة لها}. لقد قمت ببعض الاستبدال للسلع في حياتي. وربما أنت أيضاً فعلت ذلك. قامت الأمم بأسوأ عملية استبدال: لقد بدلوا الحق عن الله بالكذب. بدلوا مجد الله الحقيقي الذي لا يفنى والمجيد بأصنام فانية لا قيمة لها.

عندما رفضوا الله، أظلمت أفكارهم. الطفل الذي ينعم النظر إلى الظلام قد يتخيل كل أنواع الأشكال الوهمية المخيفة. هكذا الحال أيضاً مع الكبار عندما يحاولون بعقول مظلمة أن يتصوروا الإله القدير. جعلوا لهم ألهة بـ«صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ» (الآيَة ٢٣). كانت هناك أمثلة لكلام بولس واضحة للجميع:

- «الإنسان»: عبد الرومان القيصر؛ واليونانيون تصوروا الكثير من ألهتهم على شبه البشر.
- «الطيور»: كان المصريون قد عبدوا مختلف أنواع الطيور بما فيها أبو منجل (وهو طائر مائي طويل المنقار والقائمتين).
- «الدواب»: عبد المصريون الثور، وسجد اليهود أمام عجول مصنوعة من الذهب.
- «الزحافات»: عبد الأشوريون الزحافات؛ وعبد المصريون الجُعلان.

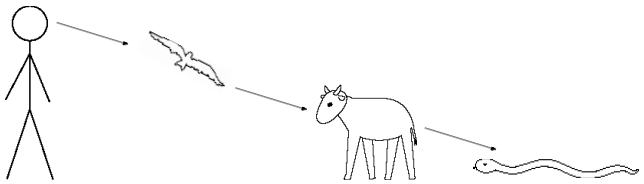

كان الاتجاه بانحدار دائم. كتب جستر قويمبي: «حطوا بالله إلى مستوى إنسان وحطوا به من ذلك أيضاً إلى مستوى أربع أرجل، ومن ثم على البطن!»[١٢]. أظلمت عقولهم حتى أصبحوا يعبدون البق!

استخدم بولس كلمة «بدل» مرة أخرى في الآية ٢٥ حيث قال: «الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا {متالاسو μετήλλαξαν} حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ ...». كان بولس يعتبر أن «الكذب» هو رفض اعلان الله مما أدى إلى الوثنية. عندما يقبل الناس «الكذب»، يتقون ويعبدون «الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ» (الآية ٢٥). انهم يضعون المخلوق في مرتبة أسمى من الخالق.

عندما نقرأ استنكار بولس للوثنية، لا بد أن نتجنب بعض المخاطر. أحد المخاطر هي اننا سنبقى نفكر وكأننا في القرن الأول. ولكن ما زال توقير الأصنام شائع الى يومنا هذا. يتضح هذا في بعض الدول أكثر من الدول الأخرى، ولكنه موجود في كل مكان. من الواضح ان البعض يجدون انه من الصعب التفكير على نحو نظري إذ يفضلون الإله والآلهة التي يستطيعوا رؤيتها. يتطلب الأمر إيمان قوي وثابت لعبادة الإله الذي لا يراه الشخص. ما زال العهد الجديد يقول: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الأَصْنَامِ ...» (١ يوحنا ٥: ٢١).

هناك خطر أخر وهو انه عندما نفكر في تبديل الإله الحقيقي بآلهة كاذبة، فاننا سنفكر فقط في عبادة الأصنام.

> قال شخص ما: «مهما تمسك به يدك وتعتمد عليه، يكون ذلك هو إلهك». ما تضعه في المقام الأول في حياتك، هو إلهك. قد لا نسجد أمام طيور

[١١] لعين في مقثأة: فزاعة في حقل قثاء.

[١٢] شارلس واران كويمبلي في كتابه بعنوان «The Great Redemption»، صفحتي ٤٥ و٤٦.

> ضخمة منحوتة من الغرانيت ولا أمام تماثيل خشبية بعيون حجرية، ومع ذلك قد تكون لدينا آلهة أخرى تنافس مع الإله الحقيقي الحي خالق السماوات والأرض. ربما لم نسجد أمام عجل ذهبي، ومع ذلك قد نعبد الذهب. ربما لم نجث قط على الركبتين أمام تمثال بعل المنحوت، ومع ذلك هناك صور منحوتة في عُمْلاتنا. هل يستطيع أحد منا أن يقول اننا لم نضع قط الطموحات أو الأباطيل أو النفس أولاً من عبادة الله؟ هناك أشياء كثيرة جيدة في هذا العالم ولكنها ليست الله[١٣].

الطريقة الأكثر شيوعة التي يخدم بها الكثير من الناس «المخلوق دون الخالق» هي بخدمة أنفسهم والسعي وراء إشباع رغباتهم بدلاً من أن يطلبوا مشيئة الله ويسعوا إلى إرضاءه. أصبح سلوكهم هو «التقليل من شأن الله وتعظيم الشأن البشرية».

عندما تأمل بولس في الكيفية التي أهمل بها البشر الله ولم يمجدوه، لم يستطع التحمل. اختتم آية ٢٥ بقوله: «الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ». كلمة «مبارك» في هذه الآية معناها «يستحق التمجيد». أُستخدمت هذه الكلمة للإشارة إلى الله وحده في كتاب العهد الجديد.

إستنتاج لا جدل فيه

سنستمر في الدرسين القادمين في تقييم بولس لعالم الأمم. يجب أن تقنعنا الآيات التي غطاها هذا الدرس أن بولس أثبت التهمة التي قدمها. أراه في تصوري قائماً عند حديث عن ممارسة الوثنية المخزية، ثم استخلص قائلاً: «مذنب بالجريمة!»

الخلاصة

في أحد أيام الأحد بمدينة شيكاغو الأمريكية وقف رجل متجهم الوجه في مفترق طريق مزدحم. بينما كان المارون يجتازونه بسرعة، كان يشير إلى كل منهم ويقول بصوت عال: «مذنب!» وقف كثيرون ليتفرسوا فيه. ومن ثم صرفوا النظر عنه وواصلوا في طريقهم.

ولكن سُمِعَ أحد المارة يقول لزميله: «كيف عرف ذلك؟».

ربما لم يواجهنا (أنا وأنت) وجه متجهم وأصبع اتهام، ولكننا إذا كنا أمناء بدراستنا لرومية ١: ١٨-٢٥، لاستخلصنا باننا نحن أيضاً مذنبين. نحن لا نعمل دائماً بالحق الذي أعطانا الله إياه. نخرج الله أحياناً من تفكيرنا ومن حياتنا. ووضعنا أنفسنا قبل خالقنا. نحن أيضاً «مذنبين»!

انه صحيح الآن كما كان صحيحاً في القرن الأول أن «غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (رومية ١: ١٨). وصحيح في يومنا هذا أيضاً أنه «مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!» (عبرانيين ١٠: ٣١). إذا أدركت حاجتك إلى نعمة الله، أناشدك أن ترجع إليه اليوم بإيمان محب وواثق ومطيع (أعمال ٢: ٣٦-٣٨)!

مذكرة للمبشرين والمعلمين

هناك عنوان آخر محتمل لهذا الدرس وهو «أولاً الخبر السيء»[١٤]. يمكن استخدام نصين في الرسالة إلى أهل رومية ١: ١٨-٢٥ كنصين لدرسين موضوعين عن «الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (آية ١٨) و«اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ» (آية ٢٥).

«{في رومية ١: ٢١ و٢٢} نجد عدم الشكر (مقدمة الآية ٢١) معبر عنه بعدم إحساس (ذيل الآية ٢١ ومقدمة الآية ٢٢) وعدم الإحساس يبلغ ذروته بالكفر ... عندما أخفق الوثنيون في أن يشكروا الله من أجل اعلان نفسه في الضمير وفي الطبيعة لم يطل الزمان حتى سقطوا في عمق الجهل وفقدوا معرفة الله التي كانت لديهم ذات مرة».

مقتبس من كتاب سي نورمان بارتلت
بعنوان «Right in Romans»

---

[١٣] تم تبني هذا من ديفد روبر من كتابه بعنوان «The Day Christ Came (Again)» and Other Sermons»، صفحتي ٦٤ و٦٥.

[١٤] تم تبني هذا من ألتون مكإشرن في كتابه بعنوان «Illustrating Paul's Letters to the Romans» صفحتي ٢٠ و٢١.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩